عرضةً لمطامع المكّاسين والجُباة فتُزاد فرائضهم ويستولي على املاكهم اهل الثروة

هذه بعض ملاحظات جاهر بها اهل الاعتبار رويناها كما عرضوها. ونحن نشكر لكل من وقفوا حياتهم واتعابهم في سبيل نجاح مصر سواءٌ كانوا من اهلها الوطنيين او من الاجانب لاسيَّما ارباب الهندسة الفرنسويين والانكليز الذين اروونا عياناً ما لم نكن نرجو بروزهُ الى عالم الكون والله الموفق للصواب

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل الثاني

الضابط راسيوس روفوس (١

مرَّ الضابط الروماني بقرب محفَّة يهوديت فما توارت عن عيانهِ حتى ركض فرسهُ الى جهة بيروت فاجتازها على جوادهِ مسرعاً وهو ينحي بقضيبهِ كلَّ من يثبطهُ في سيرهِ

وكان الناس يتأهَّبون لزينة الليل فيعلِّقون القناديل ويضفرون اكاليل الغار ويعدّون المشاعل ليشاطروا العالم الروماني بافراحهِ. وكان لاهل بيروت سبب خصوصيّ يدعوهم الى اقامة هذه الحفلة البهجة لانهم كانوا عرفوا القيصر الجديد ڤسپسيانوس ورأوهُ في مدينتهم حيث اتاهُ الوفود ليبايعوهُ بملك رومية (٢

لكنَّ الضابط لم يُعِر بالهُ لهذه التأهُّبات وعجَّل سائرًا الى الباب الشرقيّ ومنهُ صعد الى ربوة مشرفة على البلدة وعلى نهر ماغوراس (نهر بيروت) معاً وكانت هذه الاكمة مزدانة بالدور الجميلة والمنازل الفخيمة يسكنها اهل اعيان البلد وضبَّاط الجند. وكان في طريقهِ يرى اهل المزارع لابسين ثياب العيد ومسرعين الى المدينة ليشاهدوا الزينة فاذا واجههُ خفضوا اصواتهم وناجى بعضهم بعضاً مومئين اليهِ

---

١) وباللاتينيَّة Ræcius Rufus وهو اسمٌ تاريخيّ وكذلك اكثر الاسماء التي نبني عليها روايتنا فانَّها تاريخيَّة

٢) رجع تاريخ يوسفوس (الحرب اليهوديَّة ك ٤ ف ١٠ ع ٦) وتاريخ تاقيتوس (٢ : ٨٠)

ثم وصل القارس الى بيتٍ وسط فنزل عند بابهِ وسلّم لجام الفرس الى عبد اسرع الى استقبالهِ. ثم دخل الدار وهو يردّد نغمةً من نغمات النوبة العسكريّة. واذا برجل من الداخل يدعى لوسيليوس صرخ اليهِ بصوت جهوري أأنت هو يا راسيوس روفوس ؟

– انا بنفسي

(لوسيليوس) وما قولك بالزينة التي يُعدُّها اهل المدينة ؟

(روفوس) هذه حفلات رسميّة... ولا اراها تتجاوز الحدود المألوفة

(ل) ساء قولك هذا. اتستقلّ هذه الزينة وهي قد افرغت صندوق ماليّتنا

(ر) لا بأس فان مدينتكم غنيّة وكفى شاهدًا على ذلك ما فيها من الابنية الفخيمة كالحمّامات والملاعب العموميّة وما يزينها من دُمى الآلهة وتماثيل الرجال العظام حتى العُمّال الصغار

(ل) نعم ان بيروت واسعة التجارة غنيّة السكّان ولكن كيف تجهل مع انّك ضابط الجند الرومانيين فيها منذ ثلاث سنوات ان هذه الابنية ليست على نفقة البلديّة وانما هي هدايا ملوك عظام لمدينتنا. فانّ هيرودس الكبير قد ابتنى بمالهِ الخاصّ اروقتنا ومجلسنا العموميّ وبعض هياكل آلهتنا (١. وشيّد الملك اغريبا المرسح العظيم للالعاب العموميّة والحمّامات (٢. واما القائد الروماني اغريبا صهر اغوسطس فهو الذي يُبهج الجمهور في كلّ سنة بما يصرفهُ من المال الجسيم للمشاهد والالعاب (٣. فلا يبقى الّا التماثيل التي ينصبها الاهلون تقرّبًا من اصحاب الامر ليؤلّفوا قلوبهم

(ر) وهل عندك شيء من الاخبار ؟

(ل) ليس من خبر جديد وحتى الآن لم يَدْعُك احد من رؤسائك الى المعسكر لمواصلة الخدمة فانّهم لا يظنّون انك برئتَ تمامًا من جرحك

(ر) نعم كنتُ انسى السهم الذي رشقني بهِ البرثيّون في حربنا الاخيرة ولولاهُ لما كنتُ الآن في هذه الدار متنعمًا برغد العيش ريثما اشفى منهُ الشفاء التامّ. وازيدك علمًا اني لا ارغب الرجوع الى فرقتي قريبًا

---

١) راجع تاريخ الحرب اليهوديّة ليوسيفوس (ك ١ ف ٢١ ع ١١)

٢) راجع كتاب الآثار اليهوديّة لهُ (ك ١٩ ف ٧ ع ٥)

٣) راجعهُ ايضًا (ك ٢٠ ف ٩ ع ٤)

(ل) ما هذا القول. كنتُ اسمعك قبل اسبوع تتلهَّف الى الحرب لتدافع عن المملكة واليوم اراك تنسى الجنديَّة وتريد الراحة ؟ ماذا عرض لك ؟

(ر) عرض لي انني رأيتها . . . ورأتني

(ل) ومن هي ؟

(ر) هي . . . هي . . . ولكن كيف أُعلمك باسمها وانا لا اعرفهُ. وانَّما اعرف انَّها فتاةٌ جميلة وانَّ حبها لاط بقلبي مذ نظرتُ اليها ونظرتْ اليَّ

(ل) واعجباهُ. أجنديّ مثلك تصطادهُ الادانس ويدع قلبهُ تستفزُّ بهِ الاهواء لنظر بسيط رشقتهُ بهِ فتاةٌ مجهولة ... ولا احسبها الَّا ابنةً يهوديَّة . . . ولا أرى غيرهنَّ يفعلنَ ما فعلتْ اذْ ابتدرت بقحةٍ ورمتك بسهامها

(ر) يهوديَّة . . . اخالك مازحًا . . . ليست الفتاة الَّا ابنة احد الفرسان او البطارقة او الامراء . . .

(ل) خدعك يا صاح قلبُك. ولكن أخبرني بامرك معها وكيف اوقعتك هذه الإلاهة في حبائلها

(ر) لمَّا ابللتُ من مرضي واندمل جرحي ركبت في اوَّل اسبوع من دسمبر فرسي واخذت اركضهُ على شاطئ نهر ماغوراس وكان الجواد لمَّا احسَّ بفارسهِ عاد اليهِ نشاطهُ واخذ يمرح في المروج المجاورة يتقدَّمهُ كلبي الامين السلوقيّ وهو يفرح لفرحي كأنهُ يُهنِّئني بالسلامة والصحة. وانا في سيري اذ عرضت لنا غيضةٌ في عطفة من الطريق لم يسبق اليها نظري فما بلغها الجواد حتى عثر بشجرها فكبا وكدتُ انا اسقط لانَّ ضعفي لم يسمح لي بضبط عنان الجواد على ما كنت اروم من السرعة

وفي الوقت ذاتهِ سمعتُ صوتًا صائتًا يخرق الجوّ دلالةً على الهلع والخوف. فنظرتُ واذا بفئة من فتيات المدينة كنَّ اجتمعنَ في تلك الغيضة ليتجاذبنَ اطراف الحديث وكان نظري اطار قلبهنَّ شعاعًا. فاردتُ ان استميح منهنَّ عذرًا فتلجلج لساني واذا بواحدة منهنَّ اجابتني برقَّةٍ: «لا بأس عليكي وكفانا انَّا رأيناك سالمًا. وحقّ راس الملك انك لفارسٌ تحسن ركوب الخيل المطهَّمة ولو كان بيدي اكليل من الغار لوهبتهُ لك ودونك هذا الغصن الاملود من اغصان الزيتون بدلًا منهُ». فاخذتُ الغصن من يدها

شاكرًا وثنيت عنان الجواد وقلبي يخفق لرقّة كلامها ولم ابتعد عنهنّ الّا بعد ان جريت امامهنّ شوطين فصفّقنَ لي بالايدي مستحسنات لرشاقة حركاتي

(ل) قد فهمتُ الآن معنى هذا غصن الزيتون الذي جعلتهُ فوق فراشك وضممتهُ الى شارة الفخر التي اولاكها كزبولون في حرب البرتيين . ولعلّ هذا هو الداعي لبسطك وانشراحك منذ ثلاثة اسابيع . وهل رايتَ معبودتك بعد ذلك ؟

(ر) رأيتها قبل ثمانية ايّام . وفي هذا المساء ايضاً صادفتُها وهي محمولة على محفّة فوق اكتاف عشرين زنجيًّا وكانت متّجهة الى غار الحمام

فلمّا سمع لوسيليوس هذا الكلام اخذ يقهقه ثم قال : ولا تعرف اسمها ؟

(ر) كنتُ اودّ لو اقف عليهِ

(ل) انا اعلمك بهِ . وقد عرفتها من وصفك لها . . . هذه ابنة اغنى يهود بيروت يدعى ابوها صمويل واسمها يهوديت

(ر) وهَبْ انّها هي ثم ماذا ؟

(ل) ماذا ؟ ايستطيع ضابط مثلك قليل المال متوسّط الحال ان يخطب وحيدة رجل اغنى من الملك كريزوس . ولكن افترض ان اباها يرضى باقترانكما . ايسوغ لرجل روماني ان يلقي بمقاليد امرهِ الى امرأة اجنبيّة ليست من جنسهِ . . . ولعلّك غدًا تمشي الى حرب قومها في اورشليم . أنسيت حالة هـذا الشعب مع الدولة الرومانيّة وعصيانهُ على جنودنا المظفّرة . وهاك اليوم قسبسيان الملك لا تستقرّ قدمهُ في روميـة حتى يسعر هذه الحرب العوان ويُرسل ابنهُ طيطس الى فتح المدينة العاصية . أفاتك انّ القوّاد في اجتماعهم الاخير في الصيف اتّفقوا على خراب اورشليم واستعبـاد شعبها . . . فكيف ترضى لك بقرينةٍ من القوم العبيد . . . لا لا يا روفوس هذا لا يليق بشرف الرومان . فضلًا عن انّ اليهود في كتبهم المنزلة لا يُسمح لهم بان يقترنوا بعَبَدة الالهة مثلنا فانّنا لديهم كقوم ارجاس لا يمكنهم ان يعيشوا في صحبتنـا البتّة فدَعْ اذن عنك هذه الافكار . . . وهلمَّ بنا الى لوقينيوس فرونطو فانهُ هـذا المساء اعدَّ لبعض الاصحاب مأدبةً فهلمَّ قاسمنا الافراح بحضورك وغرّق همومك بكؤوس الخمـرة القبرسيّة

(ر) قد جرحتَ قلبي يا ليسينيوس فلم يَعُد لي شهوة للطعام

(ل) اني جرحتهُ كما يجرح الناصح بنصيحتهِ والصديق بمشورتهِ. فان آثرت نصحي لا بُدَّ يوماً تحمد مغبَّتهُ. فهلمَّ معي فانَّ المدعوّين الى الوليمة عند لوقينيوس فرونطو يقشعون عن قلبك هذه الهموم. فهيَّا بنا

(ر) لا اريد ان يراني القوم وعلى وجهي آثار الغمّ فاني ابقى هنا واستودعك الآلهة الى غدٍ

(ل) نعم الى غدٍ فنَمْ نوماً هنيئاً. امَّا انا فاني ساقضي ليلي في المسرَّات مقدّماً تحيَّاتي لباخوس إله الخمر فانهُ نِعم الاله يفرّج عن الاكدار وينفي عن القلب غمام الاحزان

(ر) اذهب مسرعاً لانك ان تأخَّرت نُظمت في عداد الطفيليين فلا تذوق شيئاً من المآكل الطيّبة والمشارب اللذيذة المعدَّة لاعيان المدعوّين

*

— هاءنذا وحدي... لقد اظلمت الدنيا في عيني لما كشفهُ لي هذا الصديق... انهُ اصاب حبَّة قلبي وبدَّل افراحي بالاتراح واهبطني من اوج الرجاء الى قعر اليأس.. ومع ذلك لا اراهُ الَّا صادقاً يريد خيري ويطلب راحة قلبي

وبينما كان روفوس يردّد هذه الافكار في راسهِ اذ دخل عبد واعلم الضابط بان عشاءهُ حاضر. فصرفهُ روفوس باشارة وخرج ليستنشق الهواء على سطح البيت علَّهُ يُسرّي عن قلبهِ مضضهُ واوجاعَهُ ويعيد اليهِ سكونهُ

فجلس على دكَّة واسند رأسهُ الى شرفة من شرف الدار. وكانت السماء في تلك الليلة مزدانة بنجوم لامعة تتلألأ بكواكب ساطعة لا يحجبها غمام امَّا الارض فكانت تجاري السماء ببهائها فانَّ لبنان كان يشعُّ بالانوار والمدينة كانت تُرَى كانها شعلة نار تتصاعد منها اصوات الافراح وترتفع من انحائها الاسهم النارية خارقةً كبد الزرقاء. فبقي روفوس مدَّة لاهياً عن هذه المشاهد البهيَّة تتجاذب قلبهُ الهواجس وتتراكم على نفسهِ الحنادس

وكانت دار لوقينيوس فرونطو تبعد عن دار الضابط نحو مئتي قدَم تُرَى الانوار من نوافذها. فلمَّا اجتمع القوم اخذت ضجَّة الافراح تزداد واصوات المغنّين والقيون مع نغمات الاوتار تصدح في الفلا حتى بلغت آذان روفوس الكاسف البال فكان

ذلك ضغثاً على أبّالة وتفاقمَ حزنهُ لمّا قابل حالهُ بمسرّات اصحابهِ وقاس كربَهُ بالبهجة السائدة على البلد باجمعهِ. فاحسَّ بجُثام ضغط على قلبهِ وتحدّرت اعضاؤهُ وتولى عليهِ سُبات عميق كان يُسمَع لهُ في اثنائهِ زفرات وانين

وفي تلك الاثناء كانت الاحلام الذهبيّة ترفرف حول راس يهوديت في غرفة « دار الورود » (البقيّة للآتي)

نظر في اهمّ حوادث السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعي

ليس من شأن مجلّتنا المشرق ان تخوض في الامور السياسيّة وتسطر الماجريّات اليوميّة والاخبار المستحدثة فانّها تدع ذلك لقرينها البشير. الّا انّنا رأينا ان نخصّص في آخر السنة المنصرمة ومفتتح السنة الجديدة فصلًا اجماليًّا يتضمّن اهمّ الحوادث التي جرت في بُرهة العام الماضي. ففي هذا النظر العمومي نجد فائدتين: الاولى انهُ تاريخ ملخّص لهذه السنة والثانية انّ الحوادث اذا ضُمّت الى بعضها تُرى بسهولةٍ علائقُها وتظهر اسبابها وغاياتُها وعلى ذلك تتوقف فلسفة التاريخ

اوربّة

﴿ الدولة العليّة ﴾ يسرُّنا ان نفتتح كلامنا بذكر دولتنا العليّة فانّ الذات الشاهانيّة صانها الله من كل الآفات وايّد شوكتها دخلت في العام الماضي في السنة السابعة والعشرين من جلوسها المأنوس على تخت السلطنة. ومن مآثرها ايّدها الله في هذه السنة الاخيرة اهتمامها بالاسطول العثماني وانشاء سُفن جديدة. ومنها اصلاح السجون بعد عود لجنةٍ كُلّفت في فحصها في كل ولايات الدولة. ومنها ايضاً تقرير الحضرة الشاهانية بانشاء مكتب لتدريس فنّ المعادن مع ما يحتاج ذلك من العلوم كتحريك الاثقال والطبيعيّات ودرس طبقات الارض والنبات. ومنها ايضاً القرارات النهائيّة في انشاء سكّة بغداد التي يؤمل افتتاح اشغالها في هذه السنة. وقد ابدت الحضرة السلطانيّة في